

تعليقك و مناقشتك

١ - ندوة حول : تجربة جامعة دمشق في تدريس
تعليم العلوم، قَدَّم لها : الدكتور عبد الكريم
خليفة - رئيس المجمع الاردني، وادارها : الدكتور
هسني سبيح - رئيس مجمع دمشق، وشارك فيها:
الاستاذ وجيه السمان، والدكتور هيثم الخياط -
من اعضاء مجمع دمشق .

يوم السبت - ١٦/٥/١٣٩٨ هـ.

الموافق - ٢٢/٤/١٩٧٨ م.

الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم السبت ، السادس عشر من
شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٨ هـ. الموافق ٢٢/نيسان/١٩٧٨ م. عُقدت
الندوة في قاعة الندوات في كلية التجارة والاقتصاد بالجامعة الاردنية ،
بدعوة من مجمع اللغة العربية الاردني ، وحضرها جمهور كبير من
اساتذة الجامعة وطلابها ، ومن المعنيين بشؤون اللغة العربية
وقد تفضل الاستاذ الدكتور حسني سبيح ، رئيس مجمع اللغة
العربية في دمشق ، بادارة الندوة ، وشارك فيها المهندس الاستاذ
وجيه السمان ، والاستاذ الدكتور هيثم الخياط ، من اعضاء مجمع
دمشق .

بدأ الندوة الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع
اللغة العربية الاردني ، بكلمة قال فيها :

انه لمن دواعي سروري ان ارحب ، باسم مجمع اللغة العربية
الاردني ، باساتذتنا من مجمع اللغة العربية في دمشق ، ومن جامعة

دمشق . ولا شك في أن موضوع تعريب العلوم الذي يُطرح في الوطن العربي في هذه الفترة التاريخية ، لهو في غايبة الأهمية ، لانه يتمشى مع طموح هذه الامة الى حريتها واستقلالها، ومشاركتها في ركسب الحضارة العالمية ؛ ولم يعد من الجائز مطلقا أن يُطرح مبدأ « هل تصلح هذه اللغة العربية لان تكون لغة العلم أم لا ؟ » فلقد انتهت الفترة التاريخية التي كانت تُطرح فيها هذه القضية للمناقشة ، ومّرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وكانت دمشق أول بلد أدرك، منذ عهد بني امية، أنه لا بدّ من التعريب من أجل بناء حضارة عربية اسلامية أصيلة . ومن دمشق ايضا بدأ التعريب في العصر الحديث .

لهذا كانت الفكرة تراودنا لندعو استاذنا الكريم الاستاذ حسني سبيع ، شيخ اطباء ، ومن رُوّاد التعريب في العصر الحديث ، لكي يلتقي مع هذه الفئة من الغيورين على لغتهم وعلى أمتهم ، بدعوة من مجمعا الاردني الفتّي الذي يُعتَبَر نفسه لجنة في مجمع عربي واحد . وفي رحاب هذه الجامعة الاردنية تنعقد الآن هذه الندوة .

واضاف الدكتور خليفه قائلًا :

هناك تيارات وتيارات تتصارع في هذه القضية ، في مشرق البلاد ومغربها ؛ فان كانت في المغرب اللغة الفرنسية ، ففي المشرق اللغة الانكليزية . لكن الشعوب الحديثة أصبحت تدرك أنه لا يمكنها الوصول الى جدّ الابداع والمشاركة الاصيلة ، إلاّ من خلال لغاتها .

ثم انتقل الى تقديم الدكتور حسني سبيع وزميليه ، وذكر ما قام به كل منهم في مجال اختصاصه من جهد كبير مشكور في تعريب العلوم ، وتعريب التعليم العلمي الجامعي .

واعطيت الكلمة للدكتور حسني سبيع ، فقال :

اشكر اولاً مجمع اللغة العربية الاردني، الذي تفضّل مدعائنا الى هذا اللقاء . وإنها لبادرة حسنة وطيّبة، تدلّ على المسمى الطيّب الذي يقوم به هذا المجمع الفتّي من أجل الماضي في ترقية اللغة العربية

لتلحق بركب الحضارة ، وتصبح مؤهلة لاستيعاب جميع العلوم والفنون والتكنولوجيا ..

ومضى يقول :

من نافلة القول أن نبحت في ضرورة التعليم باللغة العربية ، فما من أمة في العالم الا تحترم لغتها ، وتسمى جهدها لتكون هذه اللغة هي الوحيدة التي تعبر عن جميع شؤونها ، وتعلم بها في جميع مراحل التعليم . وذلك لان التعليم بلغة اجنبية دليل على الضعف وعدم الثقة بالنفس ، بل دليل على خمول العزيمة في اهلها .

ثم مضى الدكتور سبح يتحدث حول تعليم العلوم بالعربية في مصر وسوريا فقال : اترك الآن الامور العلمية المتعددة لأنظر في الطب وحده ، لأنني عانيتُ واشتغلتُ به ، ولي قسط متواضع في وضع بعض مصطلحاته العربية . لقد كان الطب يُدرّس في مدرسة القصر العيني ، في مصر ، وبعد ان تولّت الأسرة العلوية الحكم في مصر اتجهت الى اصلاحات كبيرة ، كان من جملةا الالتفات الى العلوم ، والنهوض بمصر لكي تستفيد قدر المستطاع مما بلغته ديار المغرب من رقي ، فارسلت البعثات ، وعُيّنت بتدريس العلوم المصرية ، وأسست مدرسة القصر العيني ، وكان التدريس فيها باللغة العربية ، وتخرج فيها مئات الاطباء ، وانتشروا في جميع الاقطار العربية ، وظلّ التعليم في هذه المدرسة سبعين سنة باللغة العربية .

وتابع الدكتور سبح كلامه قائلاً :

ثم احتلّ الانكليز مصر ، وكان من الطبيعي أن لا يوافقوا على بقاء اللغة العربية لغة التدريس ، ذلك لأن الاستعمار لا يكون أبداً استعماراً مادياً فحسب ، بل لا بدّ له من السيطرة الثقافية كذلك . وهكذا بدّل المستعمرون لغة التدريس من العربية الى الانكليزية ، وظلّ الأمر كذلك حتى عصرنا الحاضر .

ثم أُنتقل الى الحديث على جامعة دمشق — أو الجامعة السورية ،
كما كانت تدعى — فذكر أن كلية الطب فيها قد أنشئت في المعهد الفيصلي ،
وفي زمن رئاسة أحمد رضا الركابي للحكومة السورية .

وقد دُعيت يومئذ (المدرسة الطبية) وبدأ التعليم فيها باللغة
العربية ، بعد أن كان التعليم في بيروت والقسطنطينية باللغة التركية .
وقال الدكتور سبيع :

ولما جاء الانتداب الفرنسي لم يستطع فرض الفرنسية لغةً
للتدريس في مدرسة الطب ، لأن للمواطنين من وعيهم وحبهم للغة
ما يُعدّ مضرب الأمثال .

وتحدث على المجمع العلمي العربي بدمشق ، فقال إنه قد أنشئ
في أواخر الحرب العالمية الأولى ، وكان العمل الذي قام به هو تحويل
المصطلحات التركية السائدة الى مصطلحات عربية . وهكذا وُجدت
جميع المقومات لأجل الإدارة والتدريس بالعربية ، ولا سيما في
المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وكان المجمع يشرف على كل ما يُطبع
من الكتب المدرسية اشرافاً فعلياً . وكان يُنظر في جميع المصطلحات
التي ترد عليه ، كما كان يجب عن كل ما يوجّه اليه من أسئلة فردية
وجماعية ، في الصحف أو سواها .

وأضاف الدكتور سبيع قائلاً :

وبعد أن أنهيت دراسة الطب في دمشق ثم في أوروبا ، عهدت الي
بالتدريس في مدرسة الطب في دمشق ، وقمت بما يفرضه علي الواجب ،
ووضعت كتباً شاركت فيها في تعريب الطب . وعُقب على ذلك بقوله :

ان التعليم باللغة القومية ينبع من مشيئة الناس ؛ وعلى هذه
الارادة الوطنية قامت تجربة دمشق في تعريب التعليم العلمي .

وقال ان في سوريا الآن ثلاث جامعات ، واغلب الاساتذة فيها
درسوا في بلدان غربية عديدة وبلغات غربية مختلفة . وهذا كاد يؤدي

الى مشكلة في لغة التدريس الجامعية ، غير أن مجمع دمشق ألح على الحكومة أن تشترط على كل عضو في هيئة التدريس إتقان اللغة العربية . وقد استجابت الحكومة لطلب المجمع ، وأصبح المؤهل الآن لكل من ينضم الى التدريس في أي من الجامعات الثلاث هو إجادة اللغة العربية .

وحول الانتقال في التدريس من اللغة الأجنبية قال الدكتور سبيع :
إننا لا أميل الآن الى فكرة الطفرة ، بأن نلزم الاساتذة والطلّاب بين عشية وضحاها أن يُبدّلوا التدريس من لغة الى لغة أخرى ؛ وأرى أن نجد أولا الاساتذة المتكئين من لغتهم العربية ، وأن نجد لهم كتبًا في المصطلحات الجديدة بعد أن كثرت هذه المصطلحات في جميع العلوم والفنون ، وأصبحت لا تُقدّر أو تُحصى . وإننا مؤمن بأن الطبيب الذي يُدرّس الطب بالعربية أقدّر على التفاهم مع مريضه باللغة التي يفهمها مريضه . وقد بُنيت لي بالتجربة أن خريجي كلية الطب في جامعة دمشق ، وهم يتعلّمون الطب باللغة العربية لا بالانكليزية ، ليسوا أقلّ مقدرة ممّن درّسوا بالانكليزية على اجتياز الامتحانات الطبية المؤهّلة للبعثات في أميركا ، فهم يُنجحون فيها في الطب وفي اللغة الانكليزية ، وفي دراساتهم بعدئذ في أميركا لا يعجزون عن فهم الدروس التخصصية التي يتلقونها ، وأحيانًا كثيرة يتفوّقون على زملائهم الذين درّسوا الطب باللغة الانكليزية .

وإننا لو ذهنا أن أشير على المدرسين بأن يأخذوا أنفسهم بتدريس المواد العلمية باللغة العربية ، وعندما يحتاجون الى مصطلح لا يعرفون مقابله العربي ، فلا ضير عليهم من استعمال المصطلح الاجنبي مع شرحه بالعربية .

وختم الدكتور حسني سبيع كلمته بقوله :

وختامًا لا يسعني الآن أن أكرّر الشكر للأستاذ الدكتور هبـد الكريم خليفه على اتاحته هذه الفرصة للقائكم ، وإنني على استعداد للردّ على أي سؤال .

* * *

ثم أُعطيت الكلمة الى المهندس الاستاذ وجيه السَّمان . فقال :

مّا تقدم به الدكتور حسني سبيح نستطيع أن نستنتج أن تعليم الطب باللغة العربية قد نَجَحَ، وليس لديّ شكّ في سلامة هذه التجربة ، وفي أنها أعطت احسن النتائج . فهل تُرى نجحت التجربة في فروع أخرى من العلم ؟

لقد كانت كلية الطب الكلية العلمية في دمشق حتى سنة ١٩٤٦ . وبعد الاستقلال قامت سوريا بتوسيع الجامعة ، فأنشئت كلية للعلوم ، وكلية للهندسة ، وداراً علياً للمعلمين . ثم توالى الكليات بعد ذلك ، فأنشئت كلية الفنون الجميلة ، وكلية الزراعة . وأنشئت بعد ذلك جامعة تشرين ، وطبعاً لم تقتصر هذه الجامعات على كليات الطب وحدها ، بل اشتملت على كليات أخرى متعددة . والآن تنشأ جامعة رابعة بين حمص وحماة ، بدىء فيها بكلية الطب البيطري، وكلية النفط .

ولقد كان لي شرف الانتماء الى كلية الهندسة في جامعة حلب . وكان تدريس العلوم بالعربية سهلاً جداً ، لان مصطلحاتها في السنة الجامعية الاولى كان اكثرُها من جملة مصطلحات التعليم الثانوي المألوفة في سوريا وفي أكثر البلدان العربية . وأما تعلّم الهندسة فقد لقي صعوبة ، لان مصطلحاتها لم تكن لها أُسس سابقة . ومع ذلك صمّم الاساتذة على أن يتخطّوا المصاعب بهمة الشباب واخلص العلماء ، وراحوا يضعون المصطلحات العربية لكل سنة . ووُضِعَ المصطلحات لا يمكن الا أن يكون تدريجياً : عمل بناءً بطيء ، ثم لا بدّ من الرجوع اليه ، واعادة النظر فيه ، والاستفادة من كلّ مصطلح جديد . وهكذا نستطيع أن نقول الآن بكل اطمئنان إن كليات العلوم وكليات الهندسة ، بجميع فروعها ، تجد كل مصطلحاتها حاضرة ، يَعْلَمُهَا المدرسون ويفهمها الدارسون .

وتبقى ثمة قضية المراجع لمن يريد الاستزادة . وهنا أقول إن الشعوب العربيّة المتقدمة لا تكتفي بإلزام طلابها بمعرفة لغتهم القومية وحدها ، بل تطلب منهم معرفة لغتين أو أكثر من أجل التوسّع في

البحث العلمي . وهذا يعني ان نُقْتَدِيْ بِهِمْ ، فنُلْزِمُ الطالب باتقان لغته العربية أولا ، ثم باتقان لفة اجنبية او اكثر من اجل الاستزادة العلمية . وهذا طبعا يتطلب جهدا اضافيا ؛ ولا بدّ من هذا اذا كان العرب يطمحون الى مستقبل مشرف .

واضاف الاستاذ السمان قائلا :

اعتقد ان السبب في تهرّب البعض من تعليم العلوم باللغة العربية هو قلة الإقدام ، وعدم الاعتماد على النفس . وقد جُرُبْنَا نحن ونَجَحْتُ تجربتنا في سوريا ، فلدينا الآن كليات للطب ، وللهندسة ، وللعلوم ، وللزراعة ، وكلها تُدرّس بالعربية . وهي ايضا تُدرّس اللغات الاجنبية لكي يتمكن الطلاب من الرجوع الى المراجع العلمية الأجنبية . وفي كل جامعة لجنة خاصة لنشر المراجع العلمية المترجمة وكتب الاساتذة ، وهي تُصدر كلّ سنة عشرات ، ان لم نقل مئات ، من الكتب العلمية . ولم يقتصر الامر على الكتب التدريسية ، بل هناك مراجع عديدة ، وقد ساهمتُ أنا شخصيا بترجمة بعضها . لقد ترجمنا موسوعة في الفيزياء من اللغة الفرنسية بتعاون عدد كبير من الاساتذة . وكنا قبل الترجمة نجتمع ونتّفق على تعريب المصطلحات معا ، ثم يمضي كلّ واحد في ترجمة نصيبه من الموضوع . ولم نصادف اية مشكلة ، لان لدى الاساتذة والطلاب رغبة تامة في جعل لغتهم العربية جديرة بأمتهما المجيدة .

واضاف الاستاذ السمان قائلا :

وانني لاشعر بالأسف والألم حين اسمع بعض المثقفين عندما يتكلمون في الشؤون العلمية لا يختلفون عن العامة ، لجهلهم المصطلحات العربية . كما ان من المؤسف ان نسمع من اصحاب المهن المختلفة تعابير مستغربة، تختلف بين كل بلد والبلد الآخر . وهذا ما يجب ان يوضع له حدّ ، والا كانت العربية غير جديرة بالحياة ، لانها لا تعود لفة واحدة بل عدّة لغات .

* * *

ثم اعطيت الكلمة للدكتور هيثم الخياط ، فقال :

موضوع القديم والجديد أخشى أن أخوض فيه ، ويخيل إليّ أن هذه القضية ليست بهذه الدرجة من الأهمية . واعتقد أن الموضوع قد مولج من عدّة نقاط ، وسيجد المزيد من المعالجة بما سيتقدم به الاخوة الحاضرون من أسئلة ومناقشات . وما أريده هو أن أعلّق تعليقاتي أو ثلاثة .

قبل كل شيء أحبّ أن أطرق موضوع التعليم بالعربية ، وموضوع المصطلحات ، وهما أمران مختلفان تماما : فالمهمّ في التعليم هو البيان : أن يتكلم الاستاذ باللغة العربية التي يفهمها هو أكثر مما يفهم اللغة الأجنبية ، ويفهمها كذلك الناس منه أكثر مما يفهمون حين يخاطبهم بلغة أجنبية .

هذا شيء ، والشيء الآخر موضوع المصطلحات التي هي الفاظ اصطلاح عليها القوم — أو تصالحو — على أن تدلّ على معنى معيّن ، أو على فكرة معيّنة . وهذا أمر قد يكون فيه بعض الصعوبة أحيانا ؛ والعصر الحديث فيه صعوبات أكثر ، لأنه يصدر في كل يوم عدد كبير من المصطلحات التي تحتاج إلى نقل إلى العربية .

ولقد أصبحت العربية اليوم لغة رسمية في الأمم المتحدة ، ولغة رسمية في المحافل الدولية عامة ، ومنها منظمة الصحة العالمية . ونحن ما زلنا نتردّد في استعمال المصطلحات الطبية ، مثلا، في كليات الطب عندنا . والتعليم بالعربية أمر لا بد منه ، ولكنّ هناك فجوة تفصلنا عنه . واعتقد أن الكليات الطبية في العالم العربي ستبدأ عاجلا أو آجلا بالتعليم بالعربية ، على أن السبق سيكون للذين يبدأون بالتعليم بالعربية قبل أن يعرّبوا المصطلحات . ولست أحبّ أن أذكّر ههنا بالنواحي القوميّة والوطنية التي تقتضي ذلك ، فهذه أمور كثر الحديث حولها ، وإنما أحب أن أذكر نقطة مهمة جدًّا ننساها جميعا ، وهي قضية الابداع : الاستاذ الذي يستطيع أن يُبدع هو الاستاذ الذي يقرأ بلغته ويعلم بلغته . والدليل على ذلك أن الجامعات العربية التي

ما تزال تعلّم بالانجليزية منذ عشرات السنين ، لم ينبغ فيها أحد ، ولم تتقدّم ببحث علمي مبتكر ، ولم تُخرج علينا بشيء جديد .

نحن نقول إنّنا نريد أن نعلّم طلابنا باللغة الاجنبية ليظلّوا على اتصال دائم بما يجدرّ في العلوم ، ويستطيعوا متابعة البحث العلمي ، والمساهمة في البحث العلمي ؛ ولكن التجربة تُثبت خلاف ذلك . والقضية أنّنا نشر بعض الحجاج حول قضية ما زلنا نجدُ بعض الحرج في التخلّي عنها ، أو ما زلنا نحتاج الى بعض الشجاعة للإقدام عليها .

وأما المصطلحات فأمر آخر ؛ وأنا لا أُقلّ من شأنها . والمصطلحات العربية التي ستصبح دُوليّة ، هي أيضا المصطلحات التي تُستعمل في اللغة الفارسية ، واللغة الاوردية في تدريس الطب . اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، وهي لذلك لغة هؤلاء الذين يعرفون لغة القرآن ؛ وهم حين أرادوا ترجمة العلوم الى لغاتهم، لجأوا الى المصطلحات التي وجدت في لغة القرآن . وهم يكتبون الينا دائما لنرسل اليهم مصطلحاتنا . ونحن نقرا مجلاتهم التي تكتب بحروف عربية، فنجد المصطلحات المستعملة فيها مصطلحات عربية .

لقد أحببتُ أن نضع انفسنا امام هذا الموقف الذي نعيشه . هذه مجموعة من المتناقضات في الحقيقة ، فالتناس يطلبون منا أشياء ، ونحن ندير ظهورنا لهم ، ونريد أن نتوقع ، وأن ننكمش عند لغة من اللغات الاجنبية . ومن المؤسف أنّنا نرى أن أكثر المدافعين عن التعليم بلغة اجنبية هم ممّن لا يُجيدون اللغة الاجنبية ؛ والغريب أن الذين درسوا باللغة الاجنبية واتقنوها هم من كبار المدافعين عن التعليم بالعربية .

انني أخشى أن تكون هذه القضية مُظهرًا من مظاهر التخلف والاستعمار الفكري ؛ والاستعمار ليس في حقيقة الامر من طرف المستعمر فحسب ، وانما هو قابلية للاستعمار ... والأهم التي ليست لديها قابلية للاستعمار لا يمكن استعمارها . وأنا أخشى أن يتسرّب الينا بعض القابلية حينما نقف مثل هذا الموقف .

كثيرون يقولون : نحن مؤمنون بالتعليم بالعربية ومستعدّون له ، ولكن يجب قبل ذلك أن تتوافر لنا الكتب العربية ، وأن تكون لدينا المصطلحات التي يستطيع الطلاب أن يتعلموها . وأنا قلتُ من قبل إنّ القضية قضية بيان ؛ فلندرس بالعربية ، ولنستعمل — مثلما استعمل الترجمة الأولون — المصطلحات الدخيلة كما هي ؛ فالنقطة الأولى هي نقطة الحديث بالعربية أولا ، ثم نؤلف الكتب . ولا يجوز أن نوقف شيئا على شيء ، والا بقينا ندور في حلقة مفرغة . وفي وسع العرب أن يترجموا كل ما يصدر باللغات الأجنبية من كتب علمية ، كما يفعل الروس الآن . وسينتشر بذلك الكتاب العلمي العربي ، وتنتشر كذلك المجلات العلمية العربية ، وستجد لها قراء كثيرين في جميع أرجاء الوطن العربي . قد تطول هذه القضية بعض الشيء ، ولكنها في النهاية لن تقاوم التجارب الحديثة .

ان الطالب يتعلّم في الدراسة الثانوية بلغته ، ثم ينتقل فجأة الى اللغة الأجنبية في الجامعة . ونحن طبعا مؤمنون بأنه يجب ان يعرف لغة اجنبية لكي يستطيع ان يتابع البحوث العلمية الجديدة ، لكن أيها اهون على الطالب ، وأيها ادعى الى الفهم : ان ينتقل هذه النقلة في نهاية الدراسة الثانوية، أم في نهاية الدراسة الجامعية ؟ اعتقد ان الافضل والاهون هو ان يدع هذه النقلة الى نهاية الدراسة الجامعية ، فهناك يستطيع ان يتخصص ، وان يتابع قضية تقوية لغته الأجنبية .

وقال الدكتور الخياط :

نحن نريد توحيد المصطلحات التي تستعمل في التعليم المام والتعليم الثانوي على مستوى الوطن العربي كله ، لأن العربية ستدخل ، إن عاجلا أم آجلا ، في التعليم في الجامعات العربية كلها .

ثم تطرّق الى بعض المعاجم الجديدة الموحدة فقال :

التجربة الاولى كانت في المعجم العسكري الموحّد ، والمعجم الطبي الموحّد ؛ فقد صدر معجم للعلوم الطبية مختصر ، أصدره اتحاد الاطباء

العرب ، وحاول أن يوحد فيه المصطلحات الطبية بقدر الامكان ؛ وقد
طبنت منظمة الصحة العالمية الآن هذا العمل ، وعهدت الى لجنة
تضم الاعضاء الأقدمين مع أعضاء من المغرب العربي لمتابعة هذا
العمل ، وتوسيعه واقراره بصفة نهائية . ونرجو أن تكون هذه خطوة
أولى وجيدة في سبيل توحيد مصطلحات التعليم العالي .

* * *

ثم دار نقاش طويل اشترك فيه عدد كبير من الحاضرين ، وكان
كل من الاساتذة الثلاثة يجيب بدوره عن الاسئلة والمناقشات، مما زاد
الموضوع وضوحا . واختتم رئيس المجمع الأردني الدكتور عبد الكريم
خليفة الندوة بتوجيه الشكر الى الاساتذة الثلاثة والى الحضور .
